التطورات الدولية الجارية
انطباعات وتساؤلات

الدكتـــور
ابراهيم احلمى عبد الرحمن
وزير التخطيط الاســـبق

شـــهد العالم فى الســـنة الاخيرة مجموعة تطورات دولية واقليمية خطيرة ، بدأت منذ سنوات ولم تصل بعد الى منتهاها ، بل انه من المتوقع ان تحدث تغيرات كبيرة متتابعة أخرى فى السنوات القادمة يلزم استشرافها والتعرف على دلالاتها المحلية والدولية فى مجـــالات السياســـة والأمن والاقتصاد والاجتماع والبيئة والطاقة والفكر والعلم والتكنولوجيا والمثـــل والسلوكيات الفردية والجماعية وغيرها وقد جمع الكاتب أهم القضايا التى تتصل بهذه الجبهة المتداخلة من القضـــايا والمشكلات فى عشر مجموعات تضم ٥٠ عنوانا وفقا للبيان التالى :

١ ــ المكاشـــفة .	٢ ــ التجـارة والمـال .
٣ ــ حرب النفط مرة اخرى .	٤ ــ الموارد والســلوكيات .
٥ ــ الخبـز والحـــرية .	٦ ــ المبـادىء والمصـــالح .
٧ ــ تغيـــير المســـــار .	٨ ــ فى مصر بعد المكاشـفة .
٩ ــ الثروة الكبرى المهدرة .	١٠ــ صورة تفاؤلية للمستقبل .

ويثير هذا العرض تساؤلات اكثر من أن يقدم اجابات ، ويهدف الى توضيح المدى الواســـع للتغيرات الشـــاملة الجارية ــ فى اطر متكاملة ومتداخلة فى نفس الوقت .

عرضت هذه الدراسة فى ندوة عامة القيت يوم ١٦ اكتوبر ١٩٩٠ فى مقر الجمعية المصرية للاقتصاد والسياسة والتشريع اشترك فى تنظيمها كل

من الشعبة المصرية لجمعية التنمية الدولية ومركز الدراسات السياسية ومركز الدراسات الاقتصادية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة .

١ ـ المكاشفة

١ ـ هل انتهت الحرب الباردة ـ الانقاص المتوازى للتسليح ـ فعلا انفراد الولايات المتحدة بمركز القوة الفعال .

٢ ـ انقاص الانفاق العسكرى ـ تحويله الى اغراض مدنية ـ رسم خريطة جديدة للتوازن العسكرى للأمن التعاونى والجماعى .

٣ ـ فتح الباب أمام التطورات فى أوربا الشرقية ـ التوجه الليبرالى الديمقراطى ـ سقوط الاساليب المركزية ليس بالضرورة نجاحا للطرف الآخر .

٤ ـ بصفة خاصة توحيد المانيا فى اطار اوربى لا تثق به بريطانيا كثيرا ـ ويسعى الاتحاد السوفييتى للمشاركة فيه ـ سلسلة من الاحداث داخل الاتحاد السوفييتى ـ حركات انفصالية ـ استقلال محلى ـ ربما تفكك بين ١٠٠ جنسية عرقية ـ اوروبا تصل الى فلاديفوستوك .

٥ ـ كثيرون غير الاتحاد السوفييتى فى حاجة الى المكاشفة عن أخطائه مثل : تدهور البيئة ، اهدار الموارد ، العجز فى اقامة نظام أمنى دولى عادل وقوى ـ نحن أيضا فى العالم العربى نحتاج الى مكاشفة واعادة للبناء .

٢ ـ التجارة والمال

٦ ـ استمرار التقدم نحو الوحدة الاوروبية اتفاقية الوحدة النقدية ـ الدور الاوروبى عالميا واقتصاديا وأمنيا .

٧ ـ استمرار العجز فى أمريكا ـ والفائض فى المانيا واليابان وتايوان ـ دور اليابان الدولى ـ آثاره .

٨ ـ توجه رؤوس الاموال الى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتى ـ ربما على حساب الدول النامية الى حد كبير ، خشية صعوبة التحول الليبرالى والنكسة .

٩ ـ ازدياد عبء الديون ـ ومشاكل الجنوب الاخرى ـ الفقر ـ تدفق الاموال شمالا ـ صعوبة تجميع قوى الجنوب أمام الشمال المتكتل .

١٠ ــ قرب انتهاء دورة مفاوضات الجات واهم دلالاتها ــ الاتجاهات الحمائية ــ عدم فتح اسواق الدول الصناعية امام سلع الجنوب ــ اعادة تشكيل التجارة الدولية فى ظل محاولات ضد العجز الامريكى واستمرار حرية التجارة .

٣ ــ حرب النفط مرة اخرى

١١ ــ البحث عن عدو ــ بالنسبة الى امريكا ــ صدام يتلقى الصدمة ويحل مشكلة بوش ــ النظام القائم كان للصراع والردع وليس للبناء والتقدم .

١٢ ــ محور الصراع فى الخليج ــ النفط ــ ولكن امريكا تأخذ دورا لا تشاركها فيه بنفس القوة الدول الاخرى ــ هل تهيىء نفسها لدور الشرطي ــ دون سلطة اعلى .

١٣ ــ العمل تحت مظلة الامم المتحدة بعد اهمال طويل ــ ثالث حرب كبرى تدخلها امريكا (كوريا ــ فيتنام ــ الكويت) . (افغانستان) ــ بينما ــ جرنادا .. ــ تدخل الدول الكبرى من قبل كان واضحا انه لمصالحها الخاصة ــ هل الجديد احياء **السلطة الدولية الامنية** ام نبذها بعد حين ــ مراجعة وظيفة الدولة ــ حماية الداخل ــ استبيان فرص التعاون الخارجى .

١٤ ــ انقسام الدول العربية تجاه الموقف ــ التضامن العربى فى ازمة لها ما يتلوها بشأن الامن والاستقرار ــ نظام أوسع من الدائرة العربية .

١٥ ــ أزمة الكويت اثارت قضية النفط فى العالم ــ صرفت الانظار عن القضية الفلسطينية ــ اظهرت خشية التواجد العسكرى الاجنبى ــ الربط بين القضيتين ارضاء للعرب .

٤ ــ الموارد والسلوكيات

١٦ ــ قضايا الموارد والغذاء والطاقة ــ والمياه ــ استمرارية التنمية ــ قياسات الدخل (البنك الدولى) ــ (النظرة الجتماعية للوضع البشرى (UNDP .

١٧ ــ التكدس البشرى فى الجنوب ، وتغيير التركيب السكانى فى الشمال ، يوجه البحوث والتطويرات فى غير صالح الجنوب الفقير .

١٨ ــ السلوكيات الاستهلاكية مستمرة في الدول الصناعية وتقفو اثرها الدول النامية ــ انقسام المجتمع عرضيا الى اغنياء وفقراء افرادا ودولا .

١٩ ــ النشاط الصناعي والتمركز الحضري ــ ضار بالبيئة ــ بالاضافة الى الاوزون وتسخين الهواء وتغيير المناخ ــ الغابات الاستوائية.

٢٠ ــ التجارة والمال والانتاج والابتكار يأخذ الصورة العالمية الشاملة ــ عجز الدول الصغيرة والمنفردة عن مسايرة هذا التيار على الرغم من شدة حاجتها اليه .

٥ ــ الخبز والحرية

٢١ ــ الاتجاه الى اقتصاديات السوق والانصراف عن الادارة المركزية ــ دورة تشبه دورة القرن ١٩ ــ أولها سوق حرة وآخرها عدالة.

٢٢ ــ رخاء الفرد ــ يأتي بعد انتاجه ومن فائض جهده ــ أم الرخاء لبناء الانسان الذي يعمل ــ الاولويات العسكرية .

٢٣ ــ اشباع الحاجات الضرورية ــ أم النزوات الاستهلاكية والمخدرات والمجون والانحلال الاسري ــ انهيار الحضارات وارد .

٢٤ ــ حقوق الانسان ــ واحترام الحريات ــ ليس بالخبز وحده يعيش الناس ــ انتشار المعلومات والانباء ــ الضغط الفكري على الفقراء .

٢٥ ــ المبادىء والقيم والمثل والاديان والفلسفات ــ الهوية الثانية للجماعات المتعددة مع التجمع الاقتصادي والتكنولوجي في وحدات كبرى ــ لا مجال للضعيف .

٦ ــ المبادىء والمصالح

٢٦ ــ لا يتم التعاون الا عند تطابق المصالح ــ بين الاغنياء والفقراء ــ بين الاقوياء والضعفاء ــ الصورة في المجتمع القطري .. هل تصلح للمجتمع الدولي ؟

٢٧ ــ المصلحة المشتركة قد تكون للحصول على منفعة ــ أو لدفع خطر .

٢٨ ــ الاغنياء الشماليون لا يحتاجون الى الجنوب الفقير للحصول على منفعة ــ لانهم بالقوة يأخذون ما يريدون من بترول وموارد أخرى .

٢٩ ــ فرصة التعــاون لدفع الخطر المشترك أقرب ــ كما فى حماية البيئة والهواء الجوى ــ (كما كان الحال فى مقــاومة الاوبئة) والارهــاب والمخدرات وحمــاية الطــائرات .

٣٠ ــ لا زال الغرب يستخف بخطر البلايين الفقيرة على ســــلامته وصالحه باستبعاد خطر الزحف البشرى وقبول التصور الاثينى لمجتمــع الاســــياد والعبيــد .

٧ ــ تغيــير المســــار

٣١ ــ استمرار التيار الاستهلاكى المادى والترفى لا يمكن أن يســتمر طويلا حتي فى اغنى الدول ــ مما يؤدى الى تغيير الانمــاط الاســــتهلاكية بارتقــاء معنــوى .

٣٢ ــ التقدم المادى اذا استمر يرتطم بصخرة التشبع والخــــواء المعنوى ــ ويحتاج الى فتح أســواق للانتــاج القائم فى الدول الفقــيرة (التكنولوجيا واليد العاملة موجودة) بدلا من التصارع على تقسيم الاسواق الجامدة ــ عندئذ تتفق مصلحة الغنى والفقير بدلا من أن تتعارض ــ التوجه السلمى فى دول الشمال بعد حروب طويلة .

٣٣ ــ الامن العالمى لا يقوم دون مشاركة الفقراء ــ ما دامت أمامهم فرص الترقى المادى Nics ــ الباب المفتوح والعدالة ــ وليس المســاواة المطلقة دون التمسك بصورة الحكومة الدولية الموحدة ــ تزداد اهميــة التفاقيات الدولية والحريات الفردية والمعايشة بين الاغنياء والفقراء .

٣٤ ــ التقدم التكنولوجى يتحول من الحرب والاستهلاك الباذخ الى تنمية الموارد البشرية والمحافظة على البيئة الانسانية ويستمر التعلــم فى توسيع دائرة المعرفة بالانسان والطبيعة .

٣٥ ــ الابداع الفكرى والفنى والادبى لا زال القضية الكبرى لاشباع حاجات البشر واضفاء معان أسمى على الحياة المادية الهوجاء الجوفاء .

٨ ــ ثم انه فى مصر ــ بعد المكاشفة

٣٦ ــ حدث تغير فى نمط التجــارة مع الاتحاد الســوفييتى والكتلة الشرقية ، تغير سلبي فى بعض القطاعات مع احتمال ايجابيات فى المــدى الاطــول .

٣٧ ــ حدث رد فعل سلبى فى السياحة ربما يكون مؤقتا لموسم واحد على الاكثر وكذلك بالنسبة لتحويلات العاملين .

٣٨ ــ تغيرت النظرة السياسية الى مصر فى العالم الغربى والمنظمات الدولية ادت الى تقدم فى الاتفاق مع صندوق النقد ــ جدولة الديون وربما انحصول على قروض اخرى .

٣٩ ــ المناخ العام اكثر ملاءمة لزيادة نشاط القطاع الخاص بالاضافة الى تقلص محدود فى بعض مشروعات القطاع العام .

٤٠ ــ حدثت خسائر فى العلاقات مع الدول العربية والنقل ــ عودة مئات الالوف من البلاد العربية يزيد من عبء البطالة يقابله بعض المنافذ الجديدة .

٩ ــ الثروة الكبرى المهدرة

٤١ ــ كل هذه تغييرات صحيحة محدودة حجما وزمنا ــ فى فترة مجابهة احداث الخليج وترقب التطورات التالية العسكرية والسياسية والامنية فى المنطقة .

٤٢ ــ لا زالت قائمة القضايا الهيكلية الكبرى الخاصة بتراكم الديون والعجز المتتابع فى ميزان المدفوعات وميزانية الدولة وازدياد البطالة والتكدس السكانى .

٤٣ ــ ربما تكون هذه فترة مناسبة محليا ودوليا لاعادة التفكير الجدى فى العرف على تعديلات جوهرية فى الموارد والادارة الاقتصادية والتطوير الاجتماعي على مدى أطول .

٤٤ ــ الثروة الكبرى وربما الوحيدة فى مصر هى البشر ــ عملا وفكرا ــ وهى ثروة حتى الآن مهدرة وتتحول الى عبء متزايد بدلا من ان تكون عونا على التقدم مما يدعو الى زيادة الاستثمار فى البشر ــ وليس تدليلهم ــ فى صورة التعليم والمهارات والتثقيف والحرية الفكرية والفردية اللازمة للمبادرة والمخاطرة .

٤٥ ــ ولهذا التوجه جناحان اساسيان : المعرفة التكنولوجية وتطبيقاتها فى الانتاج وخاصة التصدير الصناعى والثانى التنظيم الادارى والمؤسسى فى ادارة المجتمع واتخاذ القرارات ــ ويحدث تقدم بناء على المبادرات الخاصة فى اطار سياسات عامة واتية للاجتهاد وليس للتواكل واستمرار أوضاع التكية .

١٠ ــ صورة تفاؤلية للمستقبل

٤٦ ــ يمكن أن نتصور أن رؤوس الاموال العربية والمصرية ستصبح أكثر رغبة فى العودة الى مصر بدلا من الهجرة الى الخارج .

١٧ ــ وأن تكون أوربا أكثر ايجابية فى النظر الى أمن (البحر الابيض المتوسط) وهو جناحها الجنوبى والمشاركة فى احداث رخاء على الاقل لايقاف التدفق البشرى والقلاقل السياسية ــ بما فى ذلك القضية الفلسطينية واللبنانية والاردنية والعراقية القادمة .

٤٨ ــ سد العجز المزدوج فى الولايات المتحدة تدريجيا معناه اعادة تخطيط التجارة الدولية ونمط تكوين المدخرات واستخدامها فى دول الفائض مما يدعو الى فتح أسواق جديدة مع الدول النامية ــ كما يحدث الآن فى شرق آسيا بقيادة اليابان وقد يصل بعض هذا المد الى مصر والبلاد العربية .

٤٩ ــ يتراخى سباق التسليح والتوجه الى مشكلات التطوير الاقتصادى والاجتماعى فى دول العجز والكتلة الشرقية فتتغير الاتجاهات التكنولوجية من خدمة المضاربة والاستهلاك الفارة الى فتح أسواق جديدة فى الاحتياجات الاكثر ضرورة .

٥٠ ــ ومع تعقيد مشاكل البيئة وفوضى المضاربات المالية وعودة ظهور شبح مجاعة الطاقة النفطية والانحلالات الاجتماعية يصبح الجو مهيأ لاقامة علاقات تبادلية أكثر نفعا بين الدول الصناعية والدول النامية كهدف تعاونى مشترك لبناء السلام والتقدم بدلا من الاستغلاء الحالى فى الشمال والتأخر والفساد فى الجنوب ــ ويمكن أن يكون لمصر مشاركة رائدة فى هذا المجال الذى يشهد ولا شك صراعات وتطورات متتالية .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » صدق الله العظيم.